الطبعة الثانية

الاحتفال بموالد الأنبياء وسيرهم في القرآن الكريم

ومولد سيد المرسلين ﷺ في مدونات السيرة النبوية

بقلم

أ.د أحمد محمد نور سيف المهيري

المشرف العام على معهد الشيخ راشد بن سعيد الإسلامي بدبي

بمناسبة مولد خير البرية

١٤٣٦ هجرية

صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين

مكتبة عباد الرحمن

الاحتفال

بموالد الأنبياء وسيرهم

في القرآن الكريم

ومولد سيد المرسلين ﷺ

في مدونات السيرة النبوية

الطبعة الثانية
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

رقم الإيداع: ٢٠١٥/٣١٤٧

مكتبة عباد الرحمن

الاحتفال
بموالد الأنبياء وسيرهم
في القرآن الكريم

ومولد سيد المرسلين ﷺ
في مدونات السيرة النبوية

بقلم
أ.د أحمد محمد نور سيف المهيري
المشرف العام على معهد الشيخ راشد بن سعيد الإسلامي بدبي

مكتبة عباد الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

هذه خاطرة صادفت ليلة دُعيت في صباحها إلى حفل معهد الشيخ راشد بن سعيد الإسلامي بدبي، بمناسبة العام الهجري الجديد١٤٣٦ هـ.

وكنت أقرأ في ختام سورة النمل؛ لافتتح بعدها سورة القصص: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ۝٦ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القصص: ١-٧].

وتوقفتُ عند هذه الآيات الكريمة، حيث أثارت اهتمامي بتفاصيل ولادة هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

فالسورة في استفتاحها لم تزد على قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾؛ لتشرع في قصة سيدنا موسى عليه السلام وفرعون.

وبعد تمهيد سريع في ست آيات؛ وصفاً لما آل إليه حال بني إسرائيل: من إذلال ومهانة على يد البطش والعدوان من فرعون وقومه، والفرج الذي ينتظرهم؛ تبدأ الآيات في تفصيل مولد هذا النبي الكريم عليه السلام.

ثم تلاحقت الأحداث التي عرّجت على جوانب كثيرة؛ من مولد ونشأة، وتبؤ لمقعد الرسالة، ومعاناة خاضها مع بني إسرائيل، ومكابدة لإعراضهم وتقلب أحوالهم، وعنتهم في قبول ما جاءهم به من النور والهداية، ثم كيف حلّت بهم نقم الله مرات؛ ليتوبوا أو يثوبوا إلى رشدهم ويستقيموا على منهج الحق والعدل، فلا

يزيدهم ذلك الاستكبار والعصيان، إلا أن يقولوا: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

ومن هذه المواقف التي يستعرضها القرآن الكريم، وما فيها من عظات وعبر في أخبار موسى عليه السلام وقومه من بني إسرائيل يتحول الخطاب إلى خاتم النبيين ﷺ وقومه، وما يدعوهم إليه مرسلاً من ربه: لقد عاند من قبلكم وكابروا وكفروا وطلبوا المعجزات أدلة على صدق رسالة من أرسل إليهم، وهذا الرسول الأمي الذي نشأ بين ظهرانيكم تعرفونه حق المعرفة، لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان ولم يتعلم، ولم تكن له صلة بأولئك الأقوام أو مجريات تواريخهم، هو نفسه الذي يحدثكم بما تسمعون، مما لا يمكن أن يكون له مصدر إلا من علام الغيوب؛ وحياً يتلوه عليكم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ

﴿ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣-٤٦].

لقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا النبي الأمي الذي نتبعه خاتماً لجميع من سبقه من الأنبياء، واختار لشريعته أن تكون خاتمة للشرائع، واختار أمته لتكون خاتمة للأمم قبلها.

وحين استعرض القرآن أحوال الأمم السابقة، طوى من أخبارها ونشر. أما ما طواه فقد كان تفاصيل ما أنزل عليهم من شرائع، ولأنها نُسخت وانتهى بها العمل لم يفصل، ولذا قال رسول الله ﷺ: « أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي

بيده لو أن موسى ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني »[1]، حين نعى على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما رآه ينظر في التوراة.

أما ما عدا ذلك من تفاصيل مواليد أنبيائهم وسيرهم وغير ذلك من أخبارهم، فهو الذي سلك فيه منهج التفصيل والبيان والتبجيل، ودعا الأمة إلى التأسي والعظة والاعتبار ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١].

وعند المقارنة في موقف القرآن من سيرة سيدنا موسى عليه السلام - كمثال - ومن سيرة سيد الأنام ﷺ، نجد بوناً شاسعاً في البيان والتنويع والتفصيل، مع أن القرآن كتابه، وأمته ﷺ هي المخاطبة به.

فلِمَ لم يتول القرآن هذه المهمة؟ ولِمَ ترك مسؤوليتها للصحب الكرام والأمة؛ للقيام بهذه المهمة؟

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند: (٢٣/ ٣٤٩)، حديث رقم (١٥١٥٦)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

إن الإجابة على هذا السؤال تحتاج إلى إيضاح وبيان، فلم يكن رسول الله ﷺ بدعاً من الرسل، وهو الذي تكاملت فيه وفي أمته، وجوه الكمال البشري؛ ليكون مؤهلاً لمقام الختام.

ولذا ادخر الله سبحانه وتعالى شرف التدوين والحفظ والصيانة لهذه الأمة، حتى تقوم بمسؤولياتها تجاه هذه السيرة، كما قامت بهذا الشرف في خدمة أحاديث نبيها فصانتها من الخلل والضياع.

وعُوّضت بهذا الشرف ما فاتها من عهدة حفظ الكتاب، حيث تولى الله سبحانه وتعالى حفظه، لمّا ضيعت الأمم السابقة حفظ كتبها قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وعهد إلى الأمة الإسلامية على لسان نبيها عليه الصلاة والسلام حفظ الشق الثاني من الوحي ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال ﷺ: « ألا إني

أوتيت القرآن ومثله معه »[١]. وقال: « بلغوا عني ولو آية...، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »[٢].

وقد قام المسلمون بحفظ ما استؤمنوا عليه من سنته وسيرته عليه الصلاة والسلام؛ شريعة تُستمدّ منها الأحكام وسيرة تترسم منها الأمة منهج حياة؛ عظة وعبرة، وقدوة وأسوة: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ودأب السلف الصالح على الاهتمام بالحفظ والعناية وترسيخ هذه المبادئ في حياة الناس وتربيتهم على منهجيتها طوال القرون بأساليب تساير الزمان والمكان، في دور العلم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند: (٢٨/ ٤١٠)، حديث رقم (١٧١٧٤) من حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل: (٤/ ١٧٠)، حديث رقم (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

والعبادة حسب أنماط الحياة، والجوهر لا يتغير وإنما القوالب والأساليب وهي في مضمونها لا تخرج عن حيّز هاتين الآيتين الكريمتين: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ [يوسف: ١١١]، ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ ﴾ [إبراهيم: ٥].

ورأوا في التنزيل صوراً لا تعد ولا تحصى من سيرة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولم يخطر ببال أحد، وهو يتلو كتاب الله ويستعرض موالد هؤلاء الأنبياء وسيرهم وجهادهم، وما تعرضوا له من صنوف الإيذاء؛ آيات تتلى آناء الليل وأطراف النهار، تارة عن موسى عليه السلام، وتارة مع الخليل إبراهيم عليه السلام، وتارة مع عيسى عليه السلام، وهكذا مع سائر الأنبياء والمرسلين.

لم يخطر بالبال أن ذلك الحق والصدق والواجب التربوي سينقلب في حق نبينا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه

عليه شركاً وضلالاً، وما يُؤكل في مناسباته يضاهي ما ذبح لغير الله.

مع أن هذه المناسبات والاحتفال بها هي مظهر من مظاهر الإسلام، وتحدّث بنعمة الله على هذه الأمة: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

وقد سلك المصطفى صلوات الله وسلامه عليه هذا في الفرح باليوم الذي سمع عنه من يهود - دون طلب دليل على ذلك - أنه يوم نجا الله فيه موسى وقومه من الغرق حين أهلك فرعون وجيشه، وقال لهم: «نحن أولى بموسى منكم»[1]، يعني: بالفرح بنجاته، وكان ذلك بالصوم شكراً لله: يوم عاشوراء حيث أوجب عليهم صيامه، حتى شُرع رمضان، فبقي سُنة.

---

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار، باب إتيان اليهود النبي حين قدم المدينة: (٥/ ٧٠)، حديث رقم (٣٩٤٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وعلى هذا المنهج سار الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله - بهذه البلاد فجعل من هذه المناسبات موسماً للذكرى وللتحدث بنعم الله؛ لما في تخليدها من العظات والعبر، استجابة للمنهج القرآني في التذكير بأيام الله، وإحياء الموروث الديني والوطني الذي يعزز الهوية، ويربي الأمة على مكارم الأخلاق، ويقي شبابها الانحراف، والاغترار بدعاوى الفُرقة والاختلاف.

والله الموفق لما فيه الهدى والرشاد.

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن استنار بهديه إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن الأحداث البارزة في حياة رسول الله ﷺ وفي سيرته العطرة قبس من نور الهداية، ونبراس يضيئ على مر الدهور جنبات حياة الأمة، وليست حياته وسيرته عليه الصلاة والسلام بدعاً من الرسل، بل هي مشكاة واحدة من الابتلاء والصبر، وما يعقب ذلك من فرج ونصر ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [يوسف: ١١٠-١١١].

ولقد تجلت هذه الصورة في أحداث متشابهة في سيرة كل من: نبينا محمد ﷺ وسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، لكن الفارق

البارز بينهما: أن القرآن الكريم تولى سيرة موسى عليه السلام منذ ولادته بأدق التفاصيل في مواطن كثيرة من سور القرآن، وبخاصة في سورة القصص؛ التي تناولت جملة من الأحداث، حيث استغرقت (٤٠ آية) من صدر السورة، عرضتْ لسيرة مولده عليه السلام، وما احتفت به من ألطاف الله فانجاه من كيد فرعون وبطشه، وبوأه مقام النبوة والرسالة، وسنعرض بإيجاز ما اشتملت عليه الآيات الكريمة في هذه السورة من قصة مولده ومسيرة حياته، وما واجه من صعاب في سبيل دعوته.

❁ ❁ ❁

أبرز الأحداث التي تناولها القرآن الكريم في سيرة سيدنا موسى عليه السلام

- لقد كان بنو إسرائيل؛ قوم موسى عليه السلام بمصر، أصولهم ترجع إلى بقايا قوم يوسف عليه السلام بها، فكانوا غرباء، مستعبدين مستذلين، نالهم من الطغيان والاستكبار من فرعون وقومه ما حكاه القرآن: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

- رأى فرعون رؤيا، وعُبِّرت له؛ بأن طفلاً يولد لبني إسرائيل يكون على يديه زوال ملكه، فأراد بكفره وطغيانه استباق الأقدار، بجريمة يستأصل بها شأفتهم؛ لتطال أبرياء، لكن نجا بتدبير الله، من كان في علمه سبحانه، أن ذلك سيكون على يده.

- كان ذلك الناجي: موسى عليه السلام، فلا غالب لأمر الله، لكن كيف نجا؟

- استعرضت الآيات هذه المرحلة: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٧-٨]، وشبّ الصبي في كنف عدوه، وبرعاية زوجته؛ حباً وحناناً: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩]، حتى قالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص٩].

- ولما بلغ أشدّه واستوى: تكاملت فيه الرجولة والقوة، ورجاحة العقل، وطهارة النفس، وإباء الضيم، ونجدة الكسير والضعيف، والصدق والأمانة، وخصال الخير، فيمن تأهل لحمل الرسالة والتبليغ عن الله أمره ونهيه.

- وتجري المقادير لما رسم القضاء في إخراج موسى من مصر، خائفاً يترقب على عمل إنساني، كان دافعه الانتصار للمظلومين والمقهورين، لكنّ الأقدار استبطنته سبباً للخروج.

- وكان الخروج مرحلة جديدة من الإعداد لمهمة الرسالة والنبوة، فقد أفضى إلى احتضانه في بيت نبوة يتكامل فيه الإعداد وتخالطه المصاهرة، وترعاه التربية في اقتباس أنوار النبوة على يد سيدنا شعيب عليه السلام في أرض مدين قبل أن يصير إلى النداء من جانب الطور الأيمن ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص:٣٠] في طريق عودته إلى مصر.

- وكانت العصى معجزته في كشف زيف سحرة فرعون، وسبباً لاذعانهم لدعوة الحق: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ٧٢-٧٣].

- وكانت النهاية لبغي فرعون وكفره وعناده والتسلط بالظلم والاستعباد: هلاكه في اليم مع من أضل من الأتباع.

وكانوا بذلك عبرة لمن سلك هذا السبيل: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤١-٤٣].

ويتوقف القصص القرآني في قصة موسى عليه السلام في هذا الموطن عند هذا الحد؛ ليستأنف جوانب أخرى في مواطن أخرى؛ لتتكامل الصورة في سيرة هذا النبي الكريم عليه الصلاة وأتم التسليم في سور كثيرة من القرآن الكريم.

ولا غرابة لو أن حياة هذا النبي - ولادة ونشأة وتنقلاً، وتقلباً في مراحل الإعداد، ومجاهدة وصبراً وتحملاً في مواطن

الكفر والعناد، وتقلب المزاج من أتباع لعنهم الله، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت - أخذت هذا الحيز الكبير من القصص والتفاصيل الدقيقة مكانها في التوراة المنزلة على موسى؛ إذ هي صاحبة الشأن، وهي التي بُعث بها نبيهم إلى هؤلاء الأقوام.

لكن الغرابة أن يستأثر بها كتاب أنزل من بعد موسى، جاء به نبينا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام؛ ليكون خاتم الكتب لخاتم النبيين، فإن ذلك قد يكون موضع الاستغراب.

ويزيد الأمر استغراباً أن هذا الاحتفال بسيرة هذا النبي بالصورة التي ذكرناها لا نجد لها مثيلاً لنبينا محمد ﷺ في القرآن الكريم، وهو صاحب الكتاب، وأمته هي المتلقية لهذا الكتاب.

ولو ذهبنا نبحث عن صورة لنبينا محمد ﷺ مماثلة لميلاد موسى عليه السلام في سردها القصصي الذي أشرنا إليه إشارة

موجزة من سورة القصص فقط؛ لما وجدنا لها مثيلاً لسيرة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في سور القرآن، بدءاً من أيام ولادته ثم فترة صباه ونبوته؛ كموسى وعيسى عليهما السلام، حتى السور التي سُميت به كسورة (محمد) وسورة (طه)، حيث خُوطب بالرسالة وأهدافها، وجلال المُرْسِلِ، وعظمة سلطانه؛ لتخلص بعد (٦ آيات فقط) إلى الحديث عن موسى عليه السلام في قصص مماثل استغرق معظم سورة (طه)، ولو ذهبنا أيضاً إلى ما سجله علماء السيرة من أخبار، وما تناقله علماء السيرة من إرهاصات لنبوته باهرات، وأحوال لا تجري على سنن العادات في صفات محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، وما أحاطته به العناية الإلهية من رعاية، وما أفاضت عليه من أحوال، رأى مخايلها جده عبد المطلب وعمه أبو طالب وحاضنته حليمة السعدية ووالدته آمنة بنت وهب السعيدة بحمل خير البرية، وهي ترى نوراً خرج منها عند ولادته، أضاء منه إيوان كسرى، وبحيرا الراهب في

مسيره في تجارة خديجة بنت خويلد في تجارتها إلى الشام، وما لاقاه منها من حنان ورعاية، وتثبيت روعه، حين فَجَأه جبريل بالوحي، وقالت له: « كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً »[1]، وما حدّث به ابن عم زوجته ورقة بن نوفل، وما بشره به من الرسالة والنبوة، وتمنيه أن يكون وقتها عضداً له ونصيراً.

وما أعقب ذلك من المعجزات الباهرات التي حفلت بها كتب السيرة، والمواقف التي تجلت فيها آيات النصر والتأييد، بعد الابتلاء والتمحيص طيلة مسيرة الدعوة والتبليغ عن الله.

فإننا نجد هذا السرد القصصي في سور القرآن، مما يدعو إلى العجب والاستغراب، متمثلاً ذلك في السؤال التالي:

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾: (٦/ ٣٧١)، حديث رقم (٣٥٩٤). ومسلم في الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: (١/ ١٣٩)، حديث رقم (٢٥٢) كلاهما من حديث عائشة رضي الله عنها.

- لماذا لم يعرج القرآن الكريم على هذا السجل العظيم في مولد سيد المرسلين ﷺ وأحداث سيرته بالرصد والبيان؟

إنّ الإجابة على هذا السؤال تستدعي إيضاح ما يلي:

أولاً: حين ضيعت الأمم السابقة الأمانة في المحافظة على ما أؤتمنت عليه فيما أنزل إليها من أحكام وتشريع وسير أنبيائهم، وافترائهم على الرسل؛ كان لا بد من كشف الحقيقة في أمرين:

أولهما: ما حصل من العبث بتشريعهم وكان خاصاً بهم، وهو الذي يمثل مرحلة من مراحل التشريع في الأمم السابقة، فكان لا بد من فضح ما صنعوه، ولما لم يكن له شأن بعد البعثة المحمدية باعتبار أنه شريعة منسوخة، وما ورد فيها صواباً أو خطأ فإنه قد انتهى به العمل؛ فإن القرآن نعى عليهم صنيعهم، وبيَّن للأمة المحمدية أمثلة مما جنته أيديهم دون الدخول في تفاصيل من القرآن أو السنة في شرع منسوخ، واكتفى القرآن الكريم باستنكار ما فعلوه والتحذير مما صنعوه.

ثانيهما: سير الأنبياء؛ ولادة ونشأة ومواقف في سبيل الدعوة إلى الله؛ صبراً ومصابرة، وتحملاً لصنوف البلاء بالعناد والمكابرة والإيذاء، وضرب الأمثلة في التضحية والفداء، دروساً للأمم في العظة والاعتبار والاستبشار بالنصر والغلبة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١٠- ١١١].

وهذا السجل لا بد من المحافظة عليه فهو سجل للأمم اللاحقة وعظات وعبر على مر الأجيال، وإيراد القرآن لقصصه ما كان حديثاً يفترى؛ بل ليكون بعيداً عن التحريف والتبديل، ولذا تولاه القرآن بالحفظ والبيان والتفصيل.

ثانياً: وحين عبثت الأمم بكتبها، وفرطت فيما أؤتمنت عليه؛ أراد الله سبحانه لهذا الكتاب أن يتولاه بحفظه فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، حتى لا يدعي مدع في زمن من الأزمان أن هذا الكتاب قد عُبث به كما عُبث بغيره من الكتب السابقة على مر الأجيال. وما الذي يمنع من ذلك والدواعي قائمة والأمر مُحتمل، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يقطع الطريق على أيّ مدع بنص يودعه في كتابه لا يحتمل التأويل، ولا يجد أهل الباطل إليه سبيل.

وقد حصلت محاولات كثيرة؛ قديماً وحديثاً على أيدي عدد من المستشرقين والمستغربين، ولكنَّ الطرف أرتد إليهم وهو حسير أن يبلغوا من ذلك ما يريدون، وقد تصدى لهم من خيَّب آمالهم، وكشف أستارهم وفضح مخططاتهم من علماء المسلمين، بل ومن المنصفين من غير المسلمين.

ثالثاً: لما كان الوحي الإلهي المنزل على نبينا محمد ﷺ ذا شقين:

الشق الأول: نص محكم لا دخل للنبي ﷺ في صياغته ولا في التصرف في دلالات ألفاظه، بل كلام الله المنزل على نبيه ﷺ، تولى جبريل عليه السلام تبليغه إلى النبي ﷺ نصاً حرفياً لا لأحد تصرف فيه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦-١٩].

وقد تكفل الله تعالى بحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فلا سبيل إليه من تحريف أو تبديل إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

أما الشق الثاني: وهو المصدر الثاني للوحي، فهو ما أنزله على نبيه ﷺ معنى يتولى إبلاغه بلسانه إلى الناس بياناً وتفصيلاً للقرآن، أو تشريعاً مستأنفاً لأحكام لم ترد في القرآن، أو ما تناقله الصحب الكرام من أفعاله وتقريراته وصفاته، أو صاحب بعثته من إرهاصات، أو ما رؤي له من معجزات، أو صادف ولادته من

دلائل خارقة للعادات، أو مواقف من الصبر والتحمل والتضحية في سبيل الدعوة والنصح للأمة والشفقة عليها ودفع العنت والمشقة عنها، في دروس تحمل العبر والعظات في التربية والإعداد. فكل أقواله وأفعاله وأحواله هدي ورشاد، وفي جملته نجاح وفلاح.

وما ورد في القرآن الكريم من قصص النبيين هو قبس من هذا النور المبين الذي تكامل كماله في سُنة سيد المرسلين وخاتم النبيين.

وهذا الوحي الثاني بكل مكوناته لم يتناوله النص القرآني تصريحاً بضمان الحفظ الذي ناله القرآن الكريم.

فلم ترك حفظه والعناية به إلى الأمة؟

حين تكفل الله سبحانه بحفظ كتابه لم تكن أمام هذه الأمة من فرصة كالفرصة التي أعطيت لمن قبلها من الأمم ففرطت في حفظ كتبها، وهذا لم يدع لها فرصة الربح في الرهان ولعلها توفق بإقامة البرهان.

قد يبدو هذا الافتراض له وجه من النظر لأول وهلةٍ، لكنَّ المتأمل في مكونات الوحي في الشريعة الإسلامية يدرك أن الفرصة مواتية، والتحدي قائم، فإن يكن القرآن قد تكفَّل الله بحفظه، فقد ترك السنة النبوية بمقوماتها ماثلة للتحدي في المحافظة عليها من العبث أو التقول على رسول الله ﷺ، وقد توعّد على ذلك بأشد العقاب في قوله عليه الصلاة والسلام: « بلغوا عني ولو آية...، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »[1].

وكلامه ﷺ وهديه وحي من الله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤].

ولذا فقد انبرى سادات هذه الأمة لتحمل هذه المسؤولية؛ ليبرهنوا للأمم أن هذه الأمة سبّاقة في كل رهان، وأن الخيار الإلهي

---

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل) ٤/ ١٧٠ (حديث رقم ٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

في اختيارها خير أمة أخرجت للناس وخاتمة للأمم، أنها قد تحملت المسؤولية على خير وجه، واستطاعت أن تبتكر علماً لم تُسبق إليه، كان أعدل ميزان في علم نقد الأحاديث والأخبار، وجرح الرواة وتعديلهم، فصانوا بذلك أحاديث نبيهم ﷺ من العبث والضياع؛ ليتحقق به كمال هذه الشريعة وصيانتها من التحريف، ولتبقى شريعتها قائمة كما وعد الله، وليبقى الإرث النبوي في سيرته ماثلاً للعيان، محاكياً للإرث النبوي لمن سبقه من الأنبياء، مفصلاً لكل صغيرة وكبيرة في سور القرآن.

ولقد كان المولد النبوي الذي تعاهدته الأمة على مختلف العصور، سيرة تتلى لسيد الأنام ﷺ في مراحل حياته منذ ولادته؛ عبرة وعظات، بأساليب مختلفة كالتي أودعها القرآن في سرده القصصي بأدق التفاصيل.

قبسات من موالد الأنبياء عليهم السلام

وفي هذا المقام نورد قبسات من موالد الأنبياء الذين احتفل بهم القرآن الكريم، وجعل منها سيرة عطرة لهم تتردد على الأسماع كلما قُرأتْ سورٌ من القرآن، وترك لهذه الأمة شرف التصدي لهذه المهمة؛ لأنها نالت شرف المحافظة على سيرة نبيها وأخباره ﷺ ضمن ما حفظت عليه في الوحي الثاني من أحاديث سيد الأنام ﷺ.

وبهذا قامت هذه الأمة بواجبها نحو نبيها ﷺ وسيرته العطرة وتقلبات أحواله وصحبه، وما قدموه من تضحيات في سبيل الله خير قيام، وحققوا بذلك أمر الله في خطابه لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥].

وإليك نفحات من هذا التذكير بأيام الله في كتاب الله تعالى تتحدث عن موالد الأنبياء عليهم السلام، ونشأتهم،

وجهادهم، وما سطره القرآن من عبر وعظات في أخبارهم؛ لتكون ماثلة للعيان، تترسمها الأمم في حياتها، في عزتها أو في كبواتها ومحنها؛ لتكون زاداً لنصرها وسؤددها ورفعة شأنها.

- مع سيدنا نوح عليه السلام في سورة مستقلة.

تدور تفاصيلها من أولها إلى آخرها في مواقف نوح عليه السلام مع قومه، وما لاقاه منهم من عنت واستكبار، فقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً حتى أخذهم الطوفان.

وعرّج القرآن على جانب من مواقفه الأخرى حين اجملت السورة ما حل بهم من هلاك؛ ليكمل السرد القرآني تفاصيل الهلاك وسبيل النجاة في سورة هود، وكيف كانت المناجاة التي تنحبس فيها الأنفاس من الهول العظيم في عين أب مشفق يرى مصارع الهالكين من الكافرين، وبين ابن حجب العصيان عنه سبيل النجاة عند المؤمنين، فكان من الهالكين؛ ليكون ذلك عبرة في الميزان الإلهي

الذي لا يحيف: « يا فاطمة انقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً »[1]، على مر العصور وتقلب الأحوال.

- ومع أبي الأنبياء وخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في سور عدة، تجاذبها قصص متعدد الأحوال والأغراض.

وهذا النبي الكريم عليه السلام تعرض للابتلاء في نفسه ووالده وولده، فحين أعلن النكير على الأوثان وحطمها؛ ألقاه نمرود في النار، كما جاء تفصيل ذكره في سورة الأنبياء، ولاقى العنت من كفر أبيه، وفي مناجاته واستعطافه في أن يُنَجِّيَ نفسه من عاقبة الكفر والعصيان؛ فأبى كما في سورة مريم، ولاقى المحنة في أمر ربه حين رأى في المنام أنه يؤمر بذبح ابنه، فاستجاب لأمر ربه، ونجى الله ابنه بفداء: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠٧]، كما جاء تفصيل ذلك في سورة الصافات.

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب (٨٩) في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾: (١/ ٢٩١)، حديث رقم (٣٤٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وسيرة الخليل إبراهيم عليه السلام في سور كثيرة بدءاً بالبقرة وفي سورة إبراهيم وغيرها من السور.

- ومع سيرة الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم في سورته.

حيث استفتحت ببشائر قَصب سبق النبوة ليوسف عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ الآية [يوسف: ٤]، فاستشعر أبوه بالفرح الممزوج بالخوف؛ لأن اصطفاء النبوة المنتظرة في الأسرة سبقت إلى يوسف دون إخوته، وعامل الغيرة سيحمل على ما تخوّف منه الأب تجاه أصغر أبنائه حين يعلم الإخوة بذلك فيسارعون في المكيدة له: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥].

واسترسلتْ آيُ السورة كلها في دقائق سيرته عليه الصلاة والسلام حتى أشرفت على النهاية بالخاتمة السعيدة، بعد أن جمع الله

شمل الأسرة كلها في مصر، وتبـــوأ يوسف عرش مصر، وتحققت الرؤيا: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ٩٩-١٠٠].

وتحين التفاتة من يوسف عليه السلام لنعماء ربه وجميل صنعه فيتوجه إليه تعالى بالدعـــاء شكراً لهذا الفضل والإنعام: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١].

وتختم الســـورة هذه الســـيرة المفصلة التي لم تأت سورةٌ على غرارهـــا في القرآن في موضـــوع واحد، وتفاصيل أحداث ســـيرة

نبي واحد لا تخلطه بغيره؛ لتقدم لوناً من الإعجاز في هذا القرآن، ولتستخلص العظة والعبرة في هذا الدرس: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١].

- ونختم السيرة في هذا القصص القرآني بآل عمران.

كما جمعهم في هذه السورة التي سميت بهم: مريم وعيسى عليهما السلام ومن يلوذ بهما؛ زكريا الحاضن وابن الخالة يحيى بن زكريا عليهم السلام: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣].

فأجمل القرآن في ذكر من سبقهم للترتيب الزمني في الوجود والبعثة، وعقّب بالتفصيل في آل عمران على النحو التالي:

تمهيد:

لما كان قطب الرحى في السرد القصصي لآل عمران في هذه السورة: ولادة عيسى عليه السلام، واصطفاءه للنبوة والرسالة؛ مهد السياق لذلك بالإشارة إلى البيئة الزكية الطاهرة المنشأ التي سيُعدّ فيها هذا النبي الكريم، والذي سيكون مولده معجزة للبشرية؛ فيولد يتيماً في خَلقه من غير أب، إظهاراً لقدرة الله تعالى، التي لا يعجزها شيء.

وقد اشتمل هذا التمهيد على سيرة مريم عليها السلام ونوّه بمكانة أمها في الصلاح والإنابة لله تعالى والتقرب إليه بأعزّ ما تملك، وهو ما تترقب ولادته وتتمناه ذكراً لتفيَ بنذر ما في بطنها محرّراً مخلّصاً لخدمة بيت المقدسُ وهو إطلاق تشريف ليتخلص من أسر الدنيا وقيودها إلى حرِّية عبادة الله، ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران: ٣٥].

وكان المولود أنثى، وقد سمتها مريم، فأكرمها الله بقبولها نذراً.

١- ولادة مريم عليها السلام:

﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٦-٣٧].

٢- خبر زكريا وابنه يحيى عليهما السلام:

رأى زكريا عليه السلام ما احتف به حال مريم عليها السلام - وهو زوج خالتها وكافلها - من كرامات: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

في ذلك المكان قبل أن يخرج من المحراب نبهته شواهد خوارق العادات مع قول مريم عليها السلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ إلى من بيده ما هو بحاجة شديدة إليه: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٣-٧]، وهكذا تكون النفوس الزكية تعتبر بما ترى وتسمع، فتسارع إلى التضرع والدعاء، وتسارع العناية الإلهية بتحقيق الأمنية: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

٣- ولادة عيسى بن مريم عليه وعلى أمه السلام:

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٥-٤٦]، لقد استقبلت مريم البشارة بحمل هذا النبي الكريم بالاستنكار والتعجب: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٤٧-٥١].

وكانت المعجزة في حمله كما كانت في ولادته فانطقه الله وهو في المهد: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [مريم: ٣٠-٣٦].

وأجرى الله على يديه المعجزات دلائل على نبوته، وتصديقاً لرسالته، وتصديقاً بما جاء به موسى من التوراة، ورافعاً لجانب مما فيه حرج على أمته تخفيفاً من الله، وتذكيراً وعظة لهم، وتحذيراً من معصيته، ووبال مخالفة أمره، وحين أحس بالتمرد والعصيان من يهود، والمكر والخداع وتبييت الغدر به هيأ الله له من نصره من الأتباع، ولما لم يتم له ما يرجوه من هداية قومه، رفعه الله إليه وسلمه من شرورهم، وإعراضهم عن دعوته: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ

وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ١٥]، ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [مريم: ٣٤-٣٥].

وفي الختام: لقد جاء هذا الرد السريع في هذه الرسالة؛ لإبراز الفكرة التي استهدفتُها، ولنا عود بالتفصيل -بإذن الله- في رسائل أخرى، تستهدف هؤلاء الزمرة الكرام بالبيان والتفصيل مما حواه التنزيل. والله الموفق والمعين.

❁ ❁ ❁

تنبيه: رأيت من المناسب أن أذيل هذه الرسالة بمقالةٍ كنتُ قد كتبتها من قبل، ونُشرت في (صدى الدار) بدار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي، في السابع عشر من ربيع الأول عام ألفٍ وأربعمائة وستةٍ وعشرين من الهجرة النبوية الشريفة، وذلك بمناسبة الاحتفال بذكرى مولده عليه الصلاة والسلام، وهي تحت عنوان:

المولد النبوي الشريف

بين كونه عبادة أو شعيرة من شعائر الإسلام

يقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، ويقول أيضاً: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

الحرمات: جمع حُرُمة - بضمتين - اسم من الاحترام: ما لا يحل انتهاكه ويجب احترامه[1].

والاحترام: اعتبار الشيء ذا حَرَم - كناية عن عدم الدخول فيه، أي: عدم انتهاكه بمخالفة أمر الله في شأنه، تعظيماً كان أو تعظيماً وعبادة؛ إذ ليس كل معظم في نظر الشارع معبوداً، أمَّا المعبود أو المتعبد به فهو عند الشارع لا بد أن يكون معظماً -

(١) انظر: المصباح المنير للفيومي: (ص١٣١)، ومعجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: (١/ ٥٦٤).

والحرمات يشمل كل ما أوصى الله بتعظيم أمره، فتشمل مناسك الحج كلها[١].

والذي يظهر أن الحرمات يشمل: الهدايا، والقلائد، والمشعر الحرام، وغير ذلك من أعمال الحج؛ كالغسل في مواقعه، والحلق ومواقيته ومناسكه.

والشعائر: جمع شعيرة، وهي العلامة الواضحة، ومنه المشعر الحرام، ومشاعر الحج. والشعيرة: ما جُعل علماً على طاعة الله تعالى، وقيل: المراد بها: ما يُؤدى على سبيل الاشتهار كصلاة الجمعة، والعيدين، والخطبة، وجمع عرفات والمزدلفة. وشعائر الله: لقب لمناسك الحج[٢].

لذا فجملة: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ أخص من مضمون جملة: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾، وذكر الأخص بعد الأعم

(١) انظر: التحرير والتنوير: (١٧/ ٢٥٢).
(٢) انظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: (٢/ ٣٣٧).

للاهتمام، فكل ما أمر الله به، بزيارته أو بفعل يوقع فيه فهو من شعائر الله، أي: مما أشعر الله الناس وقرره وشهره، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، وهي معالم الحج: الكعبة، والصفا والمروة، وعرفة، والمشعر الحرام، ونحوها من معالم الحج[١].

والعبادة: فعل يدل على الخضوع والتعظيم الزائدين على المتعارف عليه، ولا يكون هذا إلا للباري تعالى[٢].

وفي الشرع: فعل ما يرضي الرب من خضوع وامتثال واجتناب، أو فعل ما يحبه الله من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة[٣].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: (١٧/ ٢٥٦).

(٢) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: (٢/ ١١٢٣).

(٣) انظر: تاج العروس: مادة (عبد).

وهو بذلك يشمل:

- ما كان الاستجابة فيه لأمر فرضاً كان أو مستحباً.

- أو الامتناع عما كان النهي عنه تحريماً أو كراهة.

- أو مباحاً انقلب بنية إلى مطلوب أو محظور.

- أو دلَّ الدليل على تعظيمه من الشارع، وهذا الأخير لا تتحقق فيه صفة العبادة بملاحظة قصد الشارع من التعظيم لذاته، وإنما العبادة تأتي من جهة وجوب ارتباط التعظيم من العبد لما عظم الخالق. فإذا أشار الدليل إلى منزلة معتبرة ومعظمة عند الشارع لمكان، أو فعل فيه، أو زمان، أو ذات، طلب من العبد أن يلتزم بما التزم الشرع به من هذا التعظيم، فكان عبادة بهذاالمعنى.

وفارق هذا النوع غيره من الأنواع الأخرى التي هي مطلوبة من الشارع قصداً فعلاً أو تركاً، كالصلاة والزكاة وفعل النوافل،

أو اجتناب الزنا والمسكرات أو المكروهات، فهذا الامتثال عبادة مقصودة من الشارع.

ولذا فما روعي موقف الشارع منه لاعتبار من الاعتبارات، لا يصدق فيه صفة العبادة على الحقيقة، فليس تعظيمنا للكعبة مثلاً لكونها حجارة مرصوصة في شكل من الأشكال، أو البُدْن لأنها لحيوان من لحم ودم، وإنما من جهة ارتباطها بتعظيم الشارع لها؛ لارتباطها بمعنى معظم عند الشارع ، فلزم العبد تعظيمها وإن لم يكن عابداً لها.

وهذه صفة الشعيرة المعظمة عند الشارع، فلم يأمر الشرع بعبادتها ولا التذلل لها، وإنما أمر بأن تُكرم وتُعظم لمعنى فيها أراده الشارع .

فالكعبة، والصفا والمروة، والبُدْن من شعائر الله، ومن حرماته، ومن معالم الإسلام، جعل الشارع منها رموزاً للتكريم

والإجلال لا لذاتها، وإنما لملاصقتها وملازمتها أمراً معظماً عند الله وهو العبادة.

قال الإمام الفخر الرازي: « والأصل في الشعائر: الأعلام التي بها يُعرف الشيء ويكون وسيلة إلى رحمة الله تعالى...؛ فتعظيم شعائر الله تعالى أن يعتقد أن طاعة الله تعالى في التقرب بها...، فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب »[1].

فمولد رسول الله ﷺ طاعة لما يحتوي عليه الاحتفاء من تعريف الأمة بقدر هذا النبي ﷺ، من خلال شمائله، وسرد سيرته نثراً أو شعراً، وغرس محبته وإجلاله في قلوب المسلمين، والدعوة إلى التأسي والاقتداء به.

ومن هنا يتضح الفرق بين الشعيرة والعبادة، فالشعيرة أعم والعبادة أخص، فكل عبادة شعيرة، وليس كل شعيرة عبادة.

---

(١) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): (٢٣/ ٢٢٣-٢٢٤).

فالشارع أمرنا بتعظيم البيت الحرام، وبناء المساجد، وتعظيم النبي ﷺ وتوقيره، ولم يأمرنا بعبادة الكعبة، ولا بعبادة الرسول ﷺ، ولا بعبادة المساجد، ولا بعبادة أصحابه والصالحين من عباد الله، مع أن توقيرهم واجب واحتقارهم كفر؛ لأنهم يمثلون الدين، وكذلك طباعة المصحف، والتذلل للأبوين والمؤمنين، تعد من شعائر الله وليس ذلك عبادة لتلك الشعائر.

فالمولد النبوي بهذا المقتضى يعتبر شعيرة من شعائر الدين، بل هو الدين؛ لأنه يحكي سيرة الأمين ﷺ، فالقرآن الكريم هو خُلُق رسول الله ﷺ، بل دستور الإسلام، وقد مثله رسول الله ﷺ أجل تمثيل في ذاته وفي حياته، وفي مجتمعه، فحينما نحتفل بمولد النبي ﷺ إنما نحتفل بالقرآن الذي يحمل قيم وأخلاق الإسلام العظيمة.

وبهذا يعتبر مظهراً من مظاهر الدين، وشعيرة من شعائره، ووسيلة مشروعة لبلوغ محبة الله عز وجل: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقوله ﷺ: « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين »[1].

فلا يكون الاتباع إلا بمعرفة، ولا تكون المعرفة إلا بالذكر والتذكير والتعريف والبيان، بأي وسيلة عرفها الإنسان بحسب مقتضى كل عصر ومجتمع، وليس في الشريعة ما يمنع من الاستفادة من وسائل التعريف والبيان المستجدة في كل عصر ومصر، بحيث لا تصطدم بحكم أو نص شرعي مقرر، وقد جاءت القاعدة

(١) أخرجه البخاري في الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان: (١/ ١٢)، حديث رقم (١٥). ومسلم في الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد...: (١/ ٦٧)، حديث رقم (٧٠)، كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الأصولية في هذا البيان: أن الوسائل لها حكم المقاصد، إذا كان المقصد شرعياً.

أمَّا تشبيه المولد النبوي بالعيدين، وبما ورد عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك، قال: كان لأهل الجاهلية يومان في كُلِّ سنة يلعبون فيهما، فلما قدم النبي ﷺ المدينة قال: « كان لكم يومان تلعبون فيهما، وقد أبدلكم الله بهما خيراً منهما: يوم الفطر، ويوم الأضحى »[1]. فتشبيه للشيء بغير جنسه، واستدلال في غير محله. وذلك أن الله أبدل الأمة الإسلامية بعيدين بدلاً من عيدين أو أعياد كان المشركون وأهل الكتاب يتعبدون بها، فرحاً بتلك العبادة الشركية أو الكفرية التي كانوا يتعبدون بها ويقيمون الأفراح تعبداً بها، كعيد النيروز عند الفرس عبدة النار، والمهرجان، وغيرهما من طقوس العبادة والتقرب إلى غير الله.

---

(١) أخرجه النسائي في صلاة العيدين: (٣/ ١٧٩)، حديث رقم (١٥٥٦).

فاختار الإسلام بدلاً من ذلك فرحاً للمسلمين بعبادتين عظيمتين هما: ختام الصيام، وختام الحج، فكانا عيدين لا مثيل لهما، وكانا عبادتين تؤديان فيهما الصلاة ويعلن فيهما بأسباب الفرح.

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله في كتاب العيدين، في شرحه لحديث الجاريتين المغنيتين في حضرة النبي ﷺ، وإنكار أبي بكر عليهما، وقوله ﷺ: « دعهما »[1]: « عَرَّفه الحكم مقروناً ببيان الحكمة بأنه يوم عيد، أي يوم سرور شرعي، فلا ينكر فيه مثل هذا، كما لا ينكر في الأعراس »[2].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد: (٢/ ١٦)، حديث رقم (٩٤٩) من حديث عائشة رضي الله عنها. وفي رواية أخرى أخرجها البخاري أيضاً في باب سنة العيدين لأهل الإسلام: (٢/ ١٧)، حديث رقم (٩٥٢): « يا أبا بكر: إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا ».

(٢) فتح الباري: (٣/ ١١٦).

فأين هذا الأمر من الفرح بمولد النبي ﷺ، أو الفرح بالأعراس، أو الفرح بعودة الحاج، أو الفرح بختم القرآن والاجتماع لذلك والفرح به، وبذل الخير والمعروف شكراً لله على تلك النعم، ولو لم تكن عبادة في ذاتها، إنما سبب للفرح بنعمة الله تعالى المتجددة: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ [يونس: ٥٨].

ولذا قررنا سابقاً أن هناك فرقاً كبيراً بين ما شرع في أصله عبادة، وبين ما عظمه الشارع وأمر بتعظيمه وإظهار الفرح به، وليس في أصله عبادة، وإنما يأخذ صورة العبادة في رضى الله سبحانه ومحبته لمن عظَّم ما عظَّم الله سبحانه، وفرح بما أمر الله أن يفرح به من محابه وتعظيم شعائره، وأن ذلك من تقوى القلوب.

ولذا فلا مدخـــل للابتـــداع في مثل ذلـــك، ولا تتضح هذه الصورة لعقلاء القـــوم إلا ويذعنوا بصوابها، ويكفي هذا لمن ألقى السمع وهو شهيد، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ونختم هذه الرسالة بهذه القصيدة المسماة بـ: « الآمنيـــة »[1] للشاعر السيد عبد القادر جيلاني بن سالم الخرد والتي قال في مقدمتها

« هــذه الأبيات أهديهــا إلى مقام من أهدت للبشرية ســبَبَ سعادتِها، وسيِّدَ سادَتها، إلى من ألبست الدهر أشرف حُلةٍ وأبهاها، وتوجته بتاج العزة والكرامة، فصــار يومُ الاثنين درة ذلك التاج، إلى من حملت بأشرف مخلوقٍ، وضمّت بين أحشائها الطاهرة بشراً لا كالبشر، ونوراً حيّر الأفكار ظهورُهُ وبهر، إلى ســيدتي آمنة بنت وهب رضي الله عنها.

وفي القصيدة إشــارةٌ للــرد على الجهلة الذين تجــرَّأوا بقولهم بعــدم نجاتهــا، فتطاولوا على هــذا المقام الرفيــع، ورَمَوا عرض الحائط بكل اعتباراتٍ لسيد المرسلين ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهــف: ٥]. صلى الله على ابنها ورضي عنها.

---

(١) هي القصيدة الأولى في ديوانه الأمهات، وقد طُبع عدة مرات.

اللهُ شـــاءَكِ أنْ تكُـونِي فِيْـنَـا

أُمّـاً لخـيرِ المُرسَـلينَ حَـنُـونـا

فاختـارَكِ المَـوْلى لِحَـمْلِ أَمـانـةٍ

فَخُلِقْتِ آمِـنَـةً وَضَـعْتِ أَمِيْـنـا

للهِ أَحشـــاءٌ تَـوَسَّـــدَ أَحمـــدٌ

جَنَبَـاتِها فَحَنَتْ عليهِ جَنينـا

للهِ أَصـــلابٌ تَـقَـلَّـــبَ أَحـمـــدٌ

فيها فسـادَتْ أَظْهُـراً وبُطـونـا

❁ ❁ ❁

يا مَنْ كسوتِ الدَّهرَ أَشرفَ حُلَّةٍ

وجَعَلْـتِ دُرَّةَ تـــاجِـهِ الإثْـنَـيْـنَـا

جَهِلُوا مَقَامَكِ حِينَ قالُوا قَوْلَةً

ولقد أساؤُوا في النَّبيِّ ظُنونا

تَرْجُوهُ أُمَّتُهُ وتَيْأَسُ أُمُّهُ!!

حاشاهُ وَهْوَ بِبِرِّهَا يُوصِينا

ولسوفَ يُرْضِيْهِ الإلهُ، فهَلْ ترى

يرضى لِآمنةٍ تذوُقُ الهُوْنا؟

اللهُ أَعلمُ حيثُ يجعلُ دِينَهُ

ولقد رَضِيْنا دِيْنَ إبنكِ دِيْنا

إنْ كانَ أَشرفُ بُقْعةٍ تِلكَ التي

أَضحى بها خيرُ الأَنامِ دَفِينا

فَلِكَوْنِها ضَمَّتْ عِظامَ المُصطفى

لكنْ بِبطْنِك كُوِّنَتْ تَكْوِينا

يـا أُمَّ خـير المُرسلينَ. وجَـدَّةَ الـ

ـزّهـراءِ أَمْطَـرَكِ الحيـاءُ هَتُـونا

سَعِدَتْ بكِ الأَبواءُ حينَ نزَلْتِها

فتعطَّرَتْ ذِكـراً، وطَـابَتْ طِيْنا

فتحنَّني وتعطَّفي ولدى النَّبِـ

ـيِّ تشفَّعي فَهْوَ المُشَفَّعُ فينا

وتلطَّفي وتذكَّـري ذُريَّـةَ الـ

ـزَّهـراءِ فَالجَـدَّاتُ أَكثرُ لِينا

فَلَنا السَّعَادةُ إِنْ ذُكِرنا عندَهُ

أَو إِنْ سَمِعْنا صَوتَهُ يَدْعُونا

لبَّيكِ يا خيرَ الأَنـامِ وسيِّدَ الـ

ـرُّسلِ الكِرامِ، وسِرَّنا المَكْنُونا

يا مَنْ لَهُ الخُلُقُ العظيمُ سجيَّةٌ

والعفوُ عندكَ نالَهُ الرَّاجُونا

عَفْواً رسولَ اللهِ إنَّ حياءَنا

منعَ الكلامَ وهيبةٌ تعرونا

رُحْمَاكَ إنَّا قد تَخلَّفنا بِلا

عُذْرٍ، تَرَكْنا الفَرْضَ والمَسْنُونا

فاستغفرِ المَولى لنا يا سيِّدي

واطْوِ المسافَةَ بينَنا والبُونَا

أَعطاكَ رَبُّكَ رُتبةً لم يُعْطِها

عيسى ولا موسى ولا هارونا

أُنْظُرْ بعينِ العَطفِ وارحَمْ ذُلَّنا

واقبلْ شفاعَةَ بِنْتِ وهبٍ فينا

يا ربِّ صلِّ على النَّبيِّ وآلِهِ

ما قامَ حادٍ أَو تَلا تَالينا

وبحقِّهِ يا ربِّ حقِّق سُؤْلَنا

واغْفِر لنا ولِمَنْ يقولُ آمينا

❁ ❁ ❁

قائمة المصادر

١- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزّاق، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق علي هلالي وآخرون، دار الهداية الكويت.

٢- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر بتونس، ١٩٨٤هـ.

٣- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، لفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي ببيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ.

٤- السنن الصغرى (المجتبى من السنن)، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة بجدة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٦- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ببيروت.

٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، باعتناء محب الدين الخطيب، دار المعرفة ببيروت، ١٣٧٩هـ.

٨- المسند، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٠- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، لمحمود عبد الرحمن عبد المنعم، دار الفضيلة بالقاهرة.

١١- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ)، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون ببيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

❁ ❁ ❁

قائمة المحتويات

- الافتتاحية ٥-١٤
- تقديم ١٥-١٦
- أبرز الأحداث التي تناولها القرآن الكريم في سيرة سيدنا موسى عليه السلام ١٧-٢١
- أين هي الصورة المماثلة لأبرز الأحداث في سيرة نبينا محمد ﷺ ٢١-٢٣
- لماذا لم يعرج القرآن الكريم على سجل سيد المرسلين ﷺ وأحداث سيرته بالرصد والبيان؟ ٢٤
- الإجابة عن ذلك ٢٤-٣٠
- قبسات من موالد الأنبياء عليهم السلام ٣١-٤٢
- سيدنا نوح عليه السلام في سورة مستقلة ٣٢-٣٣
- أبو الأنبياء وخليل الرحمن: سيدنا إبراهيم في سور عدة ٣٣-٣٤
- الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم: سيدنا يوسف عليه السلام ٣٤-٣٦
- آل عمران ٣٦-٤٢
- تمهيد ٣٧-٣٨
- ولادة مريم عليها السلام ٣٨

- خبر زكريا ويحيى عليهما السلام ٣٨-٣٩
- ولادة عيسى بن مريم عليه وعلى أمه السلام ٤٠-٤٢
- الختام ٤٢
- المولد النبوي الشريف بين كونه عبادة أو شعيرة من شعائر الإسلام ٤٣-٥٤
- القصيدة الآمنية، للسيد عبد القادر جيلاني بن سالم الخرد ٥٥
- قائمة المصادر ٦١
- قائمة المحتويات ٦٣